٥ ـ النهضة التركية الأخيرة

للدكتور عبد الوهاب عزام

الحروف اللاتينية والألفاظ العربية

وقد عجل الكماليون فى انفاذ قانون الحروف اللاتينية ، واشتدّوا فى ذلك لا يستثنون الكتب التى فى المطابع ، قد طبع بعضها بالحروف العربية ولما يتم طبعها ، فسارع بعض المؤلفين إلى إكمال كتبهم قبل الموعد المحدود ، ودون الكمال المنشود . ويئس آخرون أن يُتموا كتبهم قبل الأجل المضروب وكرهوا بل عجزوا أن يكملوها بالحروف الجديدة فيجعلوها ذات خطين أعجمى وعربى ، فوقفوا بها حيث وقفهم القانون الجديد . وأعجب ما فى هذا أن أحد الأدباء الكبار كان يطبع معجماً كبيراً وأخرج منه مجلدين ، ولم يسوّغ له القانون أن يكمله بالحروف العربية فيما يحتاج إليه من وقت ، وعجز هو وعجز الفكر الانسانىّ أن يكمل هذا المعجم بالحروف اللاتينية على ترتيبها بعد أن طبع معظمه بالحروف العربية على ترتيبها فبقى ناقصاً حائراً بين القديم والجديد

كأنما عما الترك العثمانيون من تاريخهم ستة قرون حين اختاروا للغتهم الحروف اللاتينية . فهل هم يعترفون ، كما قال ذلك الأديب الفارسىّ ، أن لهم تاريخاً لا يضيرهم أن يمحى منه ستة قرون ؟ وليت شعرى هل لهم فى التاريخ غير هذه القرون الستة ؟

مَثّل لنفسك صبياً تركياً ممن تعلموا القراءة بالحروف الجديدة يدخل اليوم جامع الفاتح أو سليمان فينظر إلى أسماء الصحابة فلا يدرى ما هى وينظر إلى اسم الفاتح واسم سليمان القانونى فلا يدرك منهما حرفاً . وتصوّره فى بروسه فى أولو جامع (الجامع الكبير) الذي جعل الخطاطون الترك على مر العصور جُدُره معرضاً لبدائع الخط وفنونه ، تصوّره ينظر إلى آثار أسلافه فلا يتبين منها شيئاً ، ويود لو كتبت بالحروف اللاتينية . وتصوره كذلك أمام كل أثر عظيم من آثار المسلمين . وتصوره وقد شبّ وقوى على الدرس والبحث يذهب إلى مكتبات استانبول فيرى من آثار أسلافه ، وكل المسلمين أسلافه ، أكداساً لا يفقه منها حرفاً إلا بدرس خاص . ألست ترى هذا الناشئ مقطوعاً من تاريخه ، غريباً عن قومه ، ألست تراه يتيماً حرم ميراث آبائه ، وجنى عليه سفه أو صيانه ؟

وقد ذهب مع الحروف العربية فن جميل بلغ فيه الترك الغاية ، وتنافس فى تجويده سلاطينهم وأمراؤهم وكبراؤهم فأتوا فيه بآيات الجمال وحلى التاريخ ؛ وشد ما يهيج الحسرة أن تسير فى شوارع استانبول عند الباب العالى فترى الخطاط التركى الماهر وقد كسدت بضاعته ، وحاولت أن تجارى الزمان صناعته ، فكتب على مكتبه بالحروف اللاتينية Hattat أي خطاط

سيقول بعض الناس إن هذه العواطف لا ينبغى أن تعوق سير الأمم ، وأنا أقول لو كان هذا سيراً ما اعترضناه ، ولو كان إصلاحاً ماعارضناه ، ولكنه تقليد يعصف بتاريخ الآباء ، ويزلزل أقدام الأبناء ، ويقطع سنن الأمة كما تقطع جذور الشجرة

* * *

وقد وصل الكماليون عملهم فى الحروف العربية باجتهادهم فى نبذ الكلمات العربية والفارسية . زعموا أنهم يريدون إنقاء اللغة التركية من الكلمات الدخيلة ، فما بالهم يخرجون كلمة عربية ليضعوا مكانها كلمة أوربية ؟ كانوا يسمون معهد الأبحاث التركية « تركيات مؤسسه سى » فمحوها وكتبوا « تركيات أنستيتوسى » فلماذا آثروا كلمة institu على مؤسسة ، وهى كلمة هم واضعوها فى العربية وعنهم أخذها العرب ؛ وكم كان لهم من حذق وذوق سليم فى وضع مصطلحات علمية باللغة العربية التى اتخذوها هم وسائر المسلمين كاللاتينية عند الأوربيين . وكانوا يسمون الجامعة « دار الفنون » فسموها Université ، وكذلك وضعوا مكان معلم ومدرس وغيرهما من ألقاب الجامعة ألقاباً أخرى أخذوها من الألمانية ، ومثل هذا كثير . فليس بالقوم الاصلاح أو العصبية التركية ، ولكنه بغض العربية . وإذا تحكم البغض والحب فى تصريف الأمور لم يبق للحق والهدى مكان .

وكان لهم فى العام الماضى مؤتمر لغوى تكلم فيه أستاذ فى الجامعة فقال : إن بين العربية والفارسية والتركية علائق يجب الابقاء عليها ، فطرد من المؤتمر ومن الجامعة ، تقديساً للحرية التى يتغنى بها الكماليون ! وسمعت أن حسين جاهد ، وهو من الدعاة الأولين إلى العصبية التركية فى اللغة قال فى المؤتمر إن إنقاء اللغة يتم على مر الزمان ، ولا تصلح فيه الطفرة . فشتم وأسكت

وأوذى ، ولو كان الأمر بحثاً وإصلاحاً لاتسع للآراء المختلفة ، وأخذ فيه بالنظر والروية

وقد سمعنا أن الفرس يريدون أن يحذوا حذو الترك فى هذا . ونحن لا نكره لأن يأخذ الشرقيون بعضهم عن بعض ، وأن يزول العداء القديم بين الفرس والترك ، وينسوا ما تصفه الشاهنامه من حروب إيران وتوران ، وما يحدث به التاريخ من جلاد الصفويين والعثمانيين . أجل ، أدعو الله أن يؤلف بين الأمتين ، ولكن لا أحب أن يقلد بعضهم بعضاً فى هذه الترهات ، وتتقيل إحداها الأخرى فى هذه الضلالات

نحن لا ننكر على الترك والفرس أن يؤثروا الكلمات التركية والفارسية على الكلمات العربية حين يحسون الحاجة إلى ذلك ، ويدعوهم إليه اصلاح اللغة وتجميلها ، وإنما ننكر عليهم أن يفعلوا ذلك بغضاً للغة العربية ، وإيثاراً لتقطيع الأوصال بين الأمم الاسلامية . إن فى الفارسية والتركية اصطلاحات علمية وأدبية كثيرة ، بل تكاد تكون اصطلاحات الآداب والعلوم كلها عربية ، وهذه الاصطلاحات هى من أعظم الروابط بين الأمم الاسلامية . وفى حذفها مفاسد كثيرة ، منها أنهم يحرمون أنفسهم اصطلاحات وضعت واستقرت ، وتحددت ، وأحكمها الاستعمال فى عصور متطاولة . وليس الاصطلاح على الكلمات ، وخلق اللغة العلمية بالأمر اليسير ؛ والثانى أنهم يباعدون بين اللغة العلمية القديمة واللغة العلمية الحديثة ، وفى ذلك ما فيه من الفصل بين قديم الأمة وحديثها ، والحيال بين المحدثين وما كتب أسلافهم ، وبين مؤرخى الآداب وفقه أطوار الأدب الأولى

والثالث أنهم يقطعون الوشائج بين آدابهم والآداب الاسلامية الأخرى التى شاركهم أهلها فى تأليف حضارة واحدة ، على حين يسعى الناس للتقريب بين الآداب واللغات ولا سيما اللغات العلمية ، وهم أنفسهم من الساعين للتقرب إلى أهل أوربا أو الفناء فيهم . فلماذا الوصل من ناحية والقطع من ناحية أخرى ، والتقرب إلى قوم والتباعد من آخرين ؟ بل لماذا التقرب من الأعداء ، والتباعد عن الأصدقاء ، وحب الأمم الأوربية وبغض الشعوب الاسلامية ؟ هل لذلك من تأويل ؟

والرابع أنهم يعسرون لغتهم على طلابها من الأمم العربية خاصة والأمم الاسلامية عامة ، والأمم تسعى اليوم لتيسير لغاتها وتسهيلها على طلابها

لست أقول هذا اشفاقاً على اللغة العربية ، أو عصبية لها ، فليس يحس المتكلم بالعربية والقارئ فيها أن ألفاظاً منها مستعملة فى الفارسية والتركية أو غير مستعملة ، ولا يهتم بهذا إلا حين يدرس الفارسية والتركية ، ودراسة هاتين اللغتين من شؤونهما لا من شؤون العربية ، وإنما يعنيني ألا تقطع الصلات بين أمم عاشت دهوراً متآخية متعاونة كأنها أمة واحدة . وإنما يدعونى إلى الجدال أن الأخوة الاسلامية ، والجامعة الانسانية ، تنفر من هذه العصبيات القاطعة ، والنعرات المفرقة

وفى اللغة العربية كثير من الكلمات الفارسية عربت وأدمجت فيها ، وصيغت على أوزانها ، وما يفكر العرب فى اخراجها من لغتهم ؛ ثم ألا يرى الفرس أنهم إن ذهبوا مذهب الترك فى أمر اللغة ثار عليهم الأفغان والهند المسلمون وأهل كشغر وما وراء النهر ثورة أدبية فنبذوا اليهم لغتهم التى اتخذوها لساناً أدبياً ، ثم اجتهدوا فى اخراج الكلمات الفارسية من لغاتهم ؟

أضرب لاخواننا مثلاً أوربياً ، فان الشرقيين لا يعرفون الحق إلا إذا شهدت به « ماركات » من أوربا :

هذه اللغة الانكليزية ، وهى ما هى انتشاراً بين الأمم ، وذيوعاً فى الشرق والغرب ، فيها كثير من الألفاظ اللاتينية والجرمانية ، ومعظم اصطلاحاتها فى الآداب والعلوم لاتينية . وقد وقع ما وقع بين الأمم اللاتينية والانكليز من حروب متمادية ، وما فكر الانكليز فى أن يجمعوا الكلمات اللاتينية وينبذوها إلى اللاتين كراهة لهم ، أو عصبية للغتهم ؛ ما فعل القوم هذا ، لأن لهم من جلائل الأعمال ما يشغلهم عن هذه السفاسف

القوم يذهبون مع الحياة مذاهبها ، ويتوسلون لها بخير وسائلها ، فلا تتسع أوقاتهم للمناقشات فى الحروف والألفاظ ، ونحن نغمض أعيننا عن أواصر تجمعنا ، وآلام وآمال تقرب بيننا ، ونقلب تاريخنا لنعثر على عداوة قديمة ، أو حرب ذهب الزمان بذكراها وآثارها ، لنخلق منها قطيعة جديدة ، ونثير بها خصومة شديدة . كاد الانكليز والألمان يتفانون ويفنوا الأمم معهم منذ خمسة عشر عاماً ؛ وهم الآن يمدون أيديهم للتعاون والتعاهد ! فأين يذهب بكم أيها الشرقيون ، وإلى أين تساقون أيها المسلمون ؟ ذلك كلام واسع الجوانب ، بعيد الأغوار ، لا يتسع له هذا المجال . ولعل لى اليه عودة ان شاء الله

(له بقية)

عبد الوهاب عزام